إلى بيروت.. شفيعة الحواضر المنكوبة

سامي سويدان

أسميك حسرة
متوقعاً في هذا الوهج المريع
تستبيحينه في عمري وفي جسدي
كارثة تروح
بلطف غريزي لجارة قديمة
تغسل في الضحى
شبق حي يتصابى بترهب عصابي
تستلني أباريق من جمر وخمر ومصطفى؛
حسرة أنت اسمي
قصارى هذا العشق المتحفز
نزقاً نبوياً يتآكل غلمة مغتربة
تستحيل وشماً مستجيرا
يتهادى بين يدي آثمتين
دعة أموية تظفر بخارج الخوارج
يستغيث زبيباً وتفاحاً ورماناً وأنا

* * *

تعلنين امتلاء صبرك
فأتكىء على جبرية أغريقية متنازعة
ـ أعرف:
التاريخ حتى ننتهي
مجيء الساعة
فتون الغدر ولوب المجاعة ـ
تتمنعين إذ أرادوك
قرصان جن ينهمك
بعجائب جسر لا تحصى
عبثاً خلبياً
وفي وهن المعجزات ترى،
تشهرين تهنيد سفيانيتك
فالتجيء إلى فخذيك الرحيمتين
أتمنطقهما
كي عن صليبي لا أميل

أدبدب روسيا مخموراً أحيانا
وأحياناً أعشش
في قمقمك المرصود ناسكاً عريانا
منتصراً بك فيك
يا امرأة تهل ولا تطل
نهداً حجازياً حيياً
يتمرد لطافة لا تستكين
يجفل منه تجار الخرائب والطلول والطمور
وتلوذ به ملاءات قلقي
تصل خفافيش الظهيرة بمجوس السحر
- يا فتنة تغفو على حجر -
إذ تشق حلمته صفاقة ظلامية رعناء
تعلن أفق المكابرة.

* * *

هلمي
- هل كان حوكك إلا استلهاماً سومريا
لا ينفك يغريني ويشقيني
استدراكاً لنأي ساموروي كئيب
ما زال يوصيني؟ -
إذ تنفض عنا دهاليز القبائل والعشائر والطوائف..
والطواف من وثن إلى حجر إلى ضجر،
أقف في عزك
أعالج حجابك بكبرياء الحروف النازفة
أكمن لبوح المسرة
وبكارة المتعة
وانفصام دهشة معذبة تغريني؛
هلمنا
إذ يقعي كبدي عند وركيك
في صحوة معمرة
تستجيب صرخة ماضية
تبري وجعاً وخطيئة
ووحي سجع لا يريب
يكاد ينهيني:
إذ الغرائز سجرت
وإذا الركائز فجرت
إذا الحرائر بركنت
وإذا السرائر فرعنت
إذا المراكيب ضمرت
وإذا المناكيب سمرت
إذا البوابات فرطست
وإذا الكانتونات فنطست
زمليني،
زميلنا إذا ما المصابيح أترعت
وإذا ما التباريح صرعت
والنرابيج ولغت
والكرابيج سوغت
والعانة بلغت
والبانة مرغت
وهاتي غناء وعرقا وصبارا
هاتي من الأعاجم تنبكا
وهاتي جميزا ومستكى؛
وهيت لك
إذ يأتمر بي أزمة الحرب
فأنت حرثي
وأنت حرزي
وأنت حرسي
وهل أنا إلا نارك ونورك
أزرقك المسنون
يقطر مرافىء ومرافق وآفاق وأحرفا
يقطف خوذا وتمائم وعمائم
يسويها مرضاتك سطوراً وأرصفا..؟
هيت لنا
وما أدرانا ما الهيت!
لهاذمة البيت؟
رب قوت وكيت..
فلا تتذمري من نزواتي
إذ أحل رباطك المأفون
ولا تسترسلي في النسيان
إذ أبالغ في المغفرة
ولا تخرجيني
إذ لم يحن بعد حيني..